الليبرالية والبونابرتية

الحزب والطبقة - الليبرالية والبونابرتية

".البونابرتية ليست مسبة بل هي و صف للحالة و كل بونابرت و ظروفه وإدراكه"

تدعى الكثير من الاحزاب انها تمثل مصالح طبقات اجتماعية بعينها، كما تدعى غيرها انها تمثل مصالح المجتمع بكل طبقاته، وهو امر يحتاج الى مزيد من التدقيق والتمحيص.

فأفكار الاحزاب عن تمثيلها لمصالح طبقات اجتماعية معينة لا يعنى صحة هذه الافكار كما ان التفاف طبقة او طبقات اجتماعية حول حزب لا يعنى بالضرورة ان هذا الحزب يعبر عن المصالح التاريخية لهذه الطبقات.

و لنضرب مثالا واضحا ، فالحزب الذى يمثل المصالح التاريخية للرأسمالية الالمانية في الثلاثينيات كان الحزب المسيحي الديمقراطي الألماني و لكن هذا الحزب خسر انتخابات 1933 امام حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني والمعروف باسم الحزب النازي و هو حزب كان يتبنى برنامجا ، قبل الوصول الى السلطة ، ديماغوجيا برجوازيا صغيرا ، و لكنة حظى بتأييد الرسمالية الالمانية الكبيرة لا دراكها انه قادر على حل مشاكلها من حيث أمالها في اعادة اقتسام العالم ، الذى فشلت في تحقيقه في الحرب العالمية الاولى ، و في التخلص من القيود الثقيلة المفروضة عليها كنتيحة للحرب ام في توسيع السوق الذى تحتاجه بشدة سواء بتعديل الاتفاقات الثقيلة او بالتمدد خارج الحدود او بتوسيع السوق الداخل بتبني سياسية تسليح كثيفة .

اذن الطبقات الاجتماعية تؤيد الحزب الذي يحقق مصالحا حتى وان كان يسلبها التمثيل السياسي المباشر، أي شكل الحكم الليبرالي، المفضل لدى الرأسمالية الناضجة، كي يحكم الديكتاتور الجديد باسمها ولصالحها.

هذا الشكل من الحكم الذي أطلق علية في الادبيات السياسية، الحكم البونابرتي، تيمنا بنابليون الاول الذي سلمت الية السلطة في اعقاب الثورة الفرنسية الكبرى، كي يحطم البنية الاقطاعية الاوربية ويفتح المجال امام الرأسمالية الفرنسية الناهضة. ولكن هذا الشكل من الحكم يحكمه منطق داخلي اخر، فالديكتاتور يصبح مطلق الصراح وقد تتحكم فيه رغباته الخاصة ويتوقف عن لعب الدور المنوط به عند الوصول الى السلطة، وقد يصبح التخلص منة شديد الصعوبة.

اما في البلدان الاقل نضجا، فان شكل الحكم الليبرالي لا يمكن الوصول الية الا عندما يصبح ضرورة حياة للرأسمالية المحلية الحاكمة، أي بعد ان تنضج وتنجح في انجاز مهامها في التحديث والتصنيع، اما قبل ذلك، ونتيجة لنشاط الجماهير الشعبية وخطرها الدائم، فإنها تفضل ان تدعم البونابرت الاكثر قدرة على الدفاع عن مصالحها وعلى مواجهة الطبقات الشعبية.

لقد حكمت بلادنا في اعقاب حركة 1952حكما بونابرتيا، وكانت النتائج مختلفة باختلاف الظروف المحلية والدولية بكل مرحلة، ولكن النتائج النهائية، حتى الان، هي العجز عن تحقيق مهام التحديث والتصنيع برغم الاداء البطولي لمصر الناصرية.

واود ان اتوقف قليلا مع مصر مبارك ، ففي تقديري ان بداية النهاية لهذا النظام بدأت في بداية القرن الواحد و عشرون ، عندما بدأت في التشكل مجموعة صغيرة من المنتفعين حول الوريث ، و توقف البونابرت ، تدريجيا ، عن القيام بدورة البونابرتي الى ان فتوقف تماما عن هذا الدور قبل الثورة مباشرة ، حيث لم يعد ممثلا لطبقة اجتماعية بل عن حفنة من المنتفعين ، و هو ما يفسر ان المشاركين في الحراك الاجتماعي كان منهم كبار الممثلين للفئات و الطبقات الاجتماعية التي كان من المفترض ان يستمر في تمثيلها ، ليس هذا فقط ، بل فقد ايضا ثقة و تأييد اجهزة السلطة المنوط بها حماية النظام

يبقى الاجابة على بعض الاسئلة

هل لدينا ليبرالية مصرية؟

نعم لدينا من يمكن و صفهم بالليبراليين المصريين و منظمين في احزاب رسمية او افراد يعملون بالعمل العام و منهم - حزب الوفد و حزب الاحرار و حزب الدستور و افراد مثل الببلاوي وزياد بهاء الدين و البرادعي ووصلوا الى السلطة في لحظة انتقالية مؤقتة و لكن هؤلاء الليبراليين، مثلهم مثل الليبراليين ما قبل 1952، تتبخر ليبراليتهم بدرجات طبقا لعلاقتهم بالسلطة ، سواء بالمشاركة فيها ام بتوجهات هدة السلطة ، و لدلك تحدثت عن ان بعضهم ، الاكثر انسجاما و الاكثر شرفا على الصعيد الشخصي ، يستمروا في الصياح من القاهرة و النمسا و لن يسمع لهم احد حتى يستقر شكل الحكم و تنقضي الظروف الانتقالية ، ولدينا كدلك احزابا تسمى نفسها بأسماء اخرى و لكنها تقترب اكثر من ان تكون احزابا ليبرالية مطعمة بأفكار اخرى ، و لكنها قصة اخرى سأتحدث عنها بشكل منفصل لاحقا.

هل هناك تلازم بين نظام الانتاج الرأسمالي و الليبرالية ؟ -

لابد من التفريق بين الرأسمالية كنمط انتاج و بين طبيعة السلطة السياسية، ففي تقديري و كما اوضحت، انه لا يوجد تلازم بين نظام حكم ليبرالي و نمط الانتاج الرأسمالي، و ان الانتقال الى نظام حكم ليبرالي رهن بإنجاز الرأسمالية لمهامها في التحديث و التصنيع و عندها و عندها فقط يصبح نظام الحكم ليبراليا ضرورة حياة لاستمرار نمط الانتاج الرأسمالي، كان في خاطري ما حدث في كوريا الجنوبية

هل يمكن لأنظمة حكم شمولية ان تحقق انجازات اقتصادية ؟ -

بالقطع نجحت انظمة الحكم الشمولية في تحقيق انجازات اقتصادية كبرى في بلدان مختلفة و بقيادة توجهات مختفة ، لقد حققت كوريا الجنوبية ذلك بقيادة بونابرتية الى ان انتقلت الى نظام حكم شبهة ليبرالي ، و تحقق الصين الشعبية (!!) الان نموا رأسماليا غير مسبوق في تاريخ البشرية بقيادة حزب شيوعي (!!) الى الحد انها اصبحت اكبر اقتصاد في العالم (طبقا للقوة الشرائية) او ثاني اكبر اقتصاد (طبقا لسعر تبادل العملة) ، و تحقق روسيا نموا جيدا تحت قيادة تقترب من ان تكون

بونابرتية ، و تحقق فيتنام نموا رأسماليا متسارعا تحت قيادة حزب شيوعي ، و كلها انظمة حكم شمولية تتضاءل فيها الحريات الليبرالية كما نعرفها

هل تسمح الرأسمالية العالمية و شركاتها المتعددة الجنسية لبلدان متخلفة تحكم بشكل بونابرتي بان نقوم بنهضة - اقتصادية ؟

للإجابة على هذا التساؤل لابد و ان نلقى نظرة اكثر تمحيصا على الوضع الدولي ، لقد تغيير الوضع عن الفترة التي اعقبت انهيار الاتحاد السوفيتي تغييرا كبيرا ، فالنهوض الرأسمالي الكبير في العديد من الدول الكبرى ، و بالذات في روسيا و الصين ، و الصراع الكبير الدائر الان لإعادة اقتسام العالم و استعادة النفوذ المفقود ، يفتح بارقة امل في الاستفادة منة شرط حسن ادارة الامور و لذلك اجبت لسؤال احد الاصدقاء عن هل هناك فرصة لنظام حكم بونابرتي في ان يقود و ينجز مهام النمو الرأسمالي الغير منجزة و كان جوابي بالإيجاب شرط حسن ادارة الامور

هل انتهى شكل الحكم البونابرتي ؟ -

يبقى ايضاح امر اخير متعلق بشكل الحكم البونابرتي و هل انتهى بموت عبد الناصر ، و في تقديري ان شكل الحكم لا يتعلق بمواجهة النفوذ الأجنبي او بمحاولة تحقيق انجازات اقتصادية كبرى ، كما فعل و حاول عبد الناصر، ولكن متعلق فقط بشكل الحكم ،حين تتخلى الطبقة السائدة عن دورها للبونابرت كي يتولى الدفاع عن المصالح الكلية لها، و لذلك فان شكل الحكم البونابرتي لا يقاس بأحلامنا في الديمقراطية او النهضة ، فكم من حكام بونابرتيين حققوا انجازات اقتصادية و اجتماعية كبرى و تمتعوا بشعبية غامرة حتى بعد موتهم ، مثل جمال عبد الناصر و نابليون الاول و حتى بوتين الان في روسيا ، و كم من حكام بونابرتيين اصبحوا مضحكة للتاريخ مثل نابليون الثالث .. البونابرتية ليست مسبة بل هى وصف للحالة وكل بونابرت وظروفه وإدراكه

ارجو ان اكون قد اوضحت رأى في هدا الحيز الضيق

راجع كتاب دراسات في الفاشية، المؤسسة الغربية للدراسات والنشر، للتعرف على رأى شارل بتلهايم في صعود هتلر الى السلطة



مأساة الليبراليين ومصير الليبرالية

في نقاش اخير على الفأس حول البرادعي و الليبرالية علقت على ما كتبة الصديق سامح جميل و كتبت عن البرادعي "راجل ليبرالي و هذا الزمان في مصر ليس زمان الليبرالية ، الاحزاب الليبرالية في مصر تؤيد حكما بونابرتيا لأنه منسجم مع مصالح من تمثلهم ، ولأنه ليبرالي منسجم فهو ليس مع الحكم البونابرتي و بالتالي لا يحظى بتايد الرأسمالية و احزابها ، و لأنه ليبرالي فهو لا يتبنى المصالح الحقيقية للطبقات الشعبية ، هي تعرف و تدرك ذلك ، أي و باختصار، لا يحظى بتأييد احد ، و لن يحظى ، و سيستمر في الصياح من فينا و لن يسمع له احد ، واذا امد الله في عمرة خمسون عاما قادمة قد يكون له فرصة حين تصبح الليبرالية ضرورة حياة للنظام الرأسمالي المصري ، اذا نجحت في تحقيق التقدم الرأسمالي المنشود ، و كما هو معلوم فان اذا و لو و امثالها من التعبيرات تفتح عمل الشيطان !!".

وعلق على الصديق خالد خليل "لم تكن تعنيه تلك التقسيمات السياسية التي عفا عليها الزمن يا محمد بيك (يقصدني) .. كان يؤمن بان الحرية والديمقراطية والعدل هو ما يحقق النماء أينما كان النظام الاقتصادي.. سألته مره فضحك.. وقال مثلك مثل المصريين بتموت في التصنيف على كل انا معجب بنظام اوروبا الشمالية حيث الاشتراكية الديمقراطية ."

وعبارة البرادعي الاخيرة تلخص ليس فقط كل اوهام الليبراليين و احيانا تعاليهم بل ايضا اخفاء الحقائق ، سواء بقصد وعن غير قصد ، و ان كنت اعتقد انها في حالته عن غير قصد ، لأنني اعتقد ، من واقع سلوكه السياسي ، انه رجل شريف ، و تطرح كذلك للنقاش مصير الليبرالية و الليبراليين في بلادنا.

وبصرف النظر عن السخرية من ولع المصريين "بالتصنيف" يبدو ان صاحبنا مازال مصريا مولعا بالتصنيف الاشتراكي الديمقراطي بأوروبا الشمالية و متجاهلا ان اوروبا الشمالية دول رأسمالية صغيرة الحجم و الطاقة و تملك امكانية تحسين الاحوال لكل الطبقات مستفيدة من تقسيم العمل الدولي الذى يستنزف ثروات البلدان الاقل تطورا لصالح الاكثر تطورا، وانها تملك كذلك امكانية ان تتبنى مواقف انسانية لمصلحة البلدان الاقل تطورا لأنها لن تتعرض لضغوط كبرى من مراكزا لقوة العالمية ، و ان الاسم لا يعبر عن المحتوى فهي اسماء توارثت بشكل تاريخي و لم تعد تعبر عن المحتوى السابق.

و في الحقيقة لابد من التفريق ما بين الاحزاب الليبرالية ، وانا هنا مصمم على ولع المصريين لأنه يعكس التسمية المتعارف عليها ، وبين الفكريين و السياسيون الليبراليون الافراد، فهناك فارق يصبح احيانا كبيرا.

فالأحزاب الليبرالية المصرية ، ما قبل 52 ، سلوكها السياسي و هي خارج الحكم كان يختلف كثيرا عن سلوكها حين تؤلف الوزارة و كان يصل احيانا الى حد تزوير الانتخابات و التحالف مع الحكم المطلق للسراية و معادة الحركة الشعبية و النقابية المستقلة ، اما ما بعد عودة الاحزاب ، و منها الاحزاب الليبرالية ، بعد اكتوبر 73 فحدث و لا حرج.

الخلاصة هي ان المفكرين و السياسيين الليبراليون ، الشرفاء ، في مازق حقيقي ، فمستوى التطور الاجتماعي الاقتصادي والمصالح المرتبطة به لا تطرح امامهم من يستجيب لأحلامهم في " الحرية و الديمقراطية و العدل " الخالية ، في تقديري ، من المحتوى الطبقي الحقيقي ، و باختصار لقد حضروا قبل زمانهم متأثرين بالفكر الغربي ، مثلنا جميعا ، فقلبي معهم على الصعيد الإنساني ، لانهم شرفاء ، و ان كنت لا اؤيد احلامهم و لا اخطائهم السياسية الفادحة.




فى اصول المسالة المصرية ـ آفاق المستقبل

فتحي الخميسي و صبحي وحيدة

في المقال البديع المرفق للدكتور فتحي الخميسي عن كتابة السيمفونية إجابات كثيرة للكثير من الأسئلة التي تشغل ذهني منذ فترة ، والتي وصلت الى اجابات لها بشكل منفصل ، و لكنها ليست عن الموسيقى ، بل عن كيف يمكن ان تنهض بلادنا ، وترافق مع هذا أنني أعيد قراءة كتاب صبحي وحيدة الرائع " في اصول المسالة المصرية " ، الصادر سنة 1950 ! ، و اكتشف أن كلا منهما يفكر بنفس الطريقة ، لا يوجد طريق للتقدم إلا بالاستناد و الانطلاق من الواقع المحلي ومن مستوى تطوره.

و برغم انني ادرك ان الاكتشافات الإنسانية الكبرى الحديثة ، بالمعنى التاريخي ، في الموسيقى و العلوم و السياسة و الاقتصاد و العلوم الاجتماعية ، أصبحت ملكا للبشرية كلها ، برغم أن إنتاجها تم بالعقل الغربي ، لأنه سابق في التقدم ، فلابد من استخدامها إذا كنا نستهدف تقدم بلادنا.

وإذا كنا على صعيد العلوم لا نستطيع الوصول إلى أي نتائج إيجابية ، دون الالتزام الصارم بالقوانين العامة المكتشفة ، ولكن أيضا بظروف وشروط التطبيق ، فلماذا لا نفعل ذلك أيضا على الصعيد الاجتماعي ؟

وسأضرب مثالا على ما اقصد ، قد يكون صادما للبعض ، فكل التيارات السياسية المصرية ، الليبرالية و الماركسية و الاشتراكية و" البين بين" ، تبنت هدفا لها شكل الحكم النيابي على النمط الغربي ، بعد أن اكتمل نضجه ، سواء كهدف نهائي أو مرحلي ، متغافلين أن هذا الشكل من الحكم تطور عبر مراحل تاريخية كاملة من الصراعات و التطورات الداخلية و الخارجية ، و رغم ذلك فلم تنجح في أقامته ، ليس لعيب فيه ، ولكن ، وببساطة ، لأنه لا يتلاءم مع الأساس الموضوعي ، أي مستوى تطور البنية الاجتماعية الاقتصادية .

ودروس التاريخ ، في بلادنا و في غيرها من البلاد شديدة الدلالة في توضيح ذلك ، ففي أعقاب ثورة 1919 في مصر و تحت تأثيرها ، تصل الى السلطة ، في البرلمان و الحكومة ، حكومة تمثل التيار الليبرالي الأصلي الذى قاد الثورة ، و لكنه يتخلى عن جانب كبير من ليبراليته فور وصوله إلى السلطة ، و تحل نقابات العمال و المنظمة الاشتراكية التي تقوده وتضع قادتها في السجون ، رغم تأييدها لحكومة الشعب الأولى ! ، ولو فكرنا قليلا في تجارب دي سيلفيا بالبرازيل و شافيز فنزويلا لوصلنا لنتائج متشابهة. .

لقد كتبت سابقا عن مأساة الليبراليين المصريين الشرفاء في مصر ، وأوضحت ان زمانهم لم يأت بعد ، لان الرأسمالية المصرية لم تنجز مهامها حتى الان ، ولذلك فالزمن ليس زمانهم ، وهو ما ينطبق أيضا على غيرها من التيارات و المفكرين

السياسيين الذين يطمحون لمجتمع على النمط الاشتراكي الديمقراطي الشمال أوروبي مثل السويد والنرويج ، نحن نحتاج إلى الإبداع ، المستند على تحليل ملموس للواقع و للخبرة التاريخية ، و لا يجب الاستناد ، هنا ، بالمطالبة بالديمقراطية من أسفل ، فهي في نهايتها ، وهم لا يمكن تحقيقه ، إذا لم تستند على بنية كاملة جديدة تتلاءم مع أوضاع التطور الاجتماعي .
لقد صدق القول في أن من وضع الدستور المصري الحالي كان حسن النية ، ولذلك يتم الالتفاف عليه ، لأنه دستور يطمح لليبرالية في غير زمانها ، و سيتم تعديله بما يتلاءم مع شكل الحكم الفعلي الحالي.
هل ذهبت ، في تعليقي هذا ، أبعد مما يجب ؟ يجوز، ولكنه جزء من التمرد الفكري الموروث، و لذلك اطلب ممن يريد أن يعلق ان يتمرد مثلى ، حتى وإن كان سينتهى الى نفس موقفة الحالي ، و لا يؤيد ما كتبته.

Fathy Alkhamisi

Admin · Yesterday at 3:47 AM

كتبت سيمفونية لم يعيرها أحد اهتماما!
الأصدقاء:
كنت طالبا بقسم التأليف بكونسرفاتوار موسكو وكان علي أن أضع مؤلفا للأوركسترا السيمفوني ليقدمه أوركسترا الكونسرفاتوار ذاته وأن يحصل هذا المؤلف على رضاء لجنة المؤلفين الروس الممتحنة وإلا سأرسب وأظل دون التخرج.
وكانت متاعب ذلك جمة ولكن عناد ركبني كحجر صوان على القلب وآنهيت كتابة سيمفونية أولى هي "غضب النيل".
وحين قدمها الأوركسترا الروسي رحت أجري في الشارع المؤدي لمكان الأوركسترا "شارع مالايا جروزنسكايا" بقلب موسكو وجوار الكرملين. كنت مزهوا لا تسعني الفرحة حتى شعرت أني رجل لا يتكرر.. بل وأني أسعد رجل في العالم إذ حققت بالفعل ما يصعب تحقيقه!
وبعد عودتي لمصر عرفت الحقيقة كاملة
لم أكن حينها اتصور أبدا أن ذلك لا يلزم أحدا! من المصري الذي يبحث حقا عن سيمفونية مصرية! عن كونشرتو مصري! في الواقع لا أحد! هل تتصورون أن هناك مصري يبحث بالفعل عن أوبرا مصرية؟ المصريون يريدون سماع عبد المطلب وعبد الحليم وأم كلثوم وأسمهان وليلي مراد.
حين قدم اوركسترا القاهرة بدار الأوبرا المصرية سيمفونيتي "غضب النيل" ولم يحضر سوي خمسة أفراد دفعت أنا معظمهم دفعا للحضور أدركت الحقيقة كاملة:
ليس هذا الطريق الصحيح.. أن كنت تريد السيمفونية لمصر فعليك أن تجري "السمفنة" أو "تركيب الألحان ذلك" على أغنية عبد المطلب أو أسمهان أو شادية.. وأن تجري ما تحب على ما يحب المصري وعلى ما يتناول شعبك من نغم .. لا أن تأتي بما يتناول الألماني أو الروسي!
يالله .. هذه السيمفونية آراقت من عمري 8 سنوات كاملة.. 8 سنوات أريقت لأني لم أفهم أن لكل شعب خيار فني خاص.
أمري لله.. على الفنان ان يعرف ما هو الضروري.. ما هي حاجة الناس.. ناسه هو أولا!
فتحي الخميسي

الليبرالية المصرية و افاق المستقبل

في وقت من الاوقات في اعقاب يناير 2011 تصاعدت امال بعض من الليبراليين في سيادة نمط من الحكم الليبرالي يلعب فيه بعض قادتها ادوارا قيادية و هو ما تحقق فعليا لفترة زمنية قصرة اثناء الفترة الانتقالية انتهت نهاية دراماتيكية باستقالة البرادعي ثم تعين رئيس وزراء جديد بنهاية هذه الفترة الانتقالية و خروج الببلاوي من رئاسة الوزراء مع غيرة من الوزراء من اصحاب الميول اللبرالية و هذا لا ينفى بالطبع ان بعض مواقع هدة الوزارة و بعض المراكز الاخرى في بعض المؤسسات المؤثرة في الرائي العام و في النقابات المهنية كانت تشغلها بعض العناصر الاكثر اقترابا من تيارات سياسية اخرى او حتى محسوبة عليها و هو امر فرضته حالة النشاط السياسي الكبيرة الانتقالية و الحريات الديمقراطية المنتزعة أي باختصار عكست هدة التغيرات حالة موازيين القوى السياسية المتغيرة.

ومع بداية استتباب الامور في مسارها المتوقع في اعقاب انتخاب الرئيس الجديد تضالت فرص او حتى انعدمت فرص الليبراليين في المشاركة المؤثرة في صنع و قيادة السياسات و اصطفت الاحزاب التي تطلق علي نفسها ليبرالية خلف الواقع الجديد متخلية الى حد كبير عن اوهامها الليبرالية.

وفى تقديري ان التحول الى نمط من الحكم ذو طابع ليبرالي و اضح رهن ، في حدود الممكن في مجتمع اقل نضجا من بتحقيق الرأسمالية المصرية لمهامها التاريخية التي عزت حتى الان عن تحقيقها و وحينها تصبح الرأسماليات المتطورة ، الليبرالية المقيدة ضرورة حياة.

ولدلك سنستمر نقرء لليبراليين حالمين صياح لن يسمع له احد سواء من فينا او من القاهرة لان اصحاب المصلحة لهم اهداف مختلفة في هدة المرحلة و لن تسمع لهم غيرها من الطبقات الاجتماعية لانهم عاجزون ، بحكم توجهاتهم ، عن تقديم ما يجذبها و سيصيبهم ، اذا لم يفهموا الواقع ، ما اصاب غيرهم من القوى السياسية الاخرى من جلد للذات و البكاء على اللبن المسكوب الذى لم يسكب .

- **[July 10](#) 2020**

الراقصة والطبال والتغييرات الطبقية

يبدو عنوانا غريبا ولكنه ذو دلالة ، فالرقص الشرقي لا يمكن أن يتم إلا بوحدة أهم عنصرين فى العرض ، الراقصة والطبال ، وهكذا فى الأنشطة الاقتصادية ، فلا يوجد نشاط اقتصادي إلا ويأتي مصحوبا بتغيرات طبقية حتى وان كانت هذه التغيرات امتدادا للأوضاع الطبقية السائدة أو تغييرا في الاوزان الطبقية ، سواء بين الطبقات الاجتماعية المختلفة او بين الفئات الاجتماعية داخل الطبقة الواحدة .

تغييرات تدريجية ويتراوح تأثيرها في سرعة تراكمها حيث قد يسفر الأمر عن تغييرات واسعة النطاق لا يدركها من يقوم بها الابعد ان تتراكم وتخلق واقع نوعى جديد قد يستمر الى فترات زمنية طويلة .

لقد حدثت مثل هذه التغييرات في تاريخ بلادنا الحديث منذ الحملة الفرنسية عدة مرات ، وفى كل هذه التغييرات كان الدور القائد للدولة هو الأساس في مجتمعا متخلفا عن اللحاق بالتغييرات العاصفة عالميا ، نشوء الرأسمالية و توسعها

الاستعماري ثم بتغيير هذا الطابع وصراعات المركز الرأسمالية العالمية لاقتسام وإعادة اقتسام العالم نتيجة لتغير أوزانها النسبية والذي مازال مستمرا إلى اليوم .

لقد بدأت التغييرات في تاريخ بلادنا الحديث بإجراءات في ملكية الأراضي الزراعية فى عهد محمد على ، الامر الذى امتد الى عهدي سعيد واسماعيل وأسفر عن نشوء طبقة اجتماعية جديدة ، هي طبقة كبار ملاك الأراضي الزراعية ذات أصول عرقية مختلفة ، من أتراك الاسرة المالكة ومعاونيها من الأتراك والشراكسة والمصريين .

هذه الطبقة التي خرج من باطنها الرأسمالية المصرية الحديثة وتباينت داخلها عبر الزمن فئات اجتماعية جديدة وامتد نفوذها وتأثيرات مصالحها ، بمختلف فئاتها الاجتماعية التي ازداد تمايزها عبر الزمان إلى 1952 حيث تبدأ فى التشكل ، تدريجيا ، تغييرات كبرى جديدة .

فهل كان محمد على يدرك أن إجراءاته ستشكل بداية التغييرات الكبرى التي استمرت الى 1952 ؟

وهل أدركت السلطة الجديدة ، سلطة يوليو أن إجراءات الإصلاح الزراعي ، المحدودة ، كانت البداية الجديدة الخجولة لعصر جديد يتم فيه ، باستخدام سلطة الدولة ، القضاء على طبقات اجتماعية وخلق طبقات جديدة ؟ ولعلى احتاج الى جملة اعتراضية لازمة لكي اوضح ان لا احد أدرك تأثيرات هذه التغييرات الى ان حدث التغيير النوعي في بداية ستينات القرن الماضي ، ولذلك سادت فترة من الاضطراب الفكري والاستخراعات النظرية التي أطاح بها الزمان واختفت كما جاءت ماعدا اكتشافا نظريا بالغ الدلالة فى نهاية ستينات القرن الماضي .

لقد استمر التأثير الغالب لدور الدولة حتى عصرنا الراهن وسيستمر الى أن تتقدم بلادنا وتستقر طبقاتها الاجتماعية الى أن يحين الحين لتغيير كبير جديد تنضجه التغييرات الاجتماعية المتراكمة .

وبالطبع فإنني أدرك أن إعادة كتابة تاريخنا الاجتماعي تحتاج الى جهد كبير وعميق وأن ما اقدمه فى هذا التعليق هو مجرد تنبيه وإعادة تأكيد لما تم اكتشافه فى نهاية ستينات القرن الماضي لعميق اعتقادي ان بلادنا تحدث فيها تغييرات جديدة وسريعة وسيكون لها تأثيرات اجتماعية كبرى ، بصرف النظر عن أدراك من يقوم بها أو عن إدراك المؤيدين والمعارضين الديماغوجي ، فهل يذهب ما أدركناه وتعلمناه أدراج ريح الديماغوجية وننعم فى النهاية بلعنة الاحفاد ؟



هل مات نابليون؟

اعلان عن الجامعة الفرنسية يختلط فيه الهزل مع الجد ويستجيب لميول الشرائح العليا من الفئات الوسطى الاجتماعية ، وبرغم الهزل التاريخي والسياسي إلا أنه يثير في أذهان من هو مهتم ، مثلي ، بالمسارات التاريخية وآفاق المستقبل الرغبة في التعليق .

! فابن الثورة الفرنسية التي أثرت تأثيرا كبيرا في تاريخ البشرية هو نفسه من اكمل المسار التاريخي لانتهائها

ويبدو اني اطرح الغازا ، لغز الاحتياج الموضوعي للطبقات الاجتماعية وطبيعة السلطة السياسية المنبثقة عنها ، جدل معقد لا يمكن التعرف عليه إلا بفهم المهام الموضوعية المنفصلة عن وعي البشر ومستوى استجابتهم لها ، جدل تغيير دائم يؤثر فيه السلوك الإنساني وسلوك الطبقات الاجتماعية ولا يمكن فهمه إلا بتتبع التغيرات الاجتماعية والسياسية التي تتراكم وقد . ينتج عنها واقع جديد لا يدركه حتى من قام بهذه التغييرات

المهم وللإجابة عن السؤال الأساسي ، هل مات نابليون ؟ ، والإجابة الصحيحة هي لا ، فما زال نابليون حيا في فرنسا ، فرنسا التي أعيدت صياغة علاقاتها الاجتماعية بدءا من الثورة الفرنسية الكبرى في حلقات متتالية من الحركات الاجتماعية الكبرى سنوات 1830 و 1848 و 1870 ،وكان نابليون دورا بارزا في ذلك ، وليس صدفة أنه في استفتاء تم في فرنسا منذ زمان بعيد ان يقرر الشعب الفرنسي ان أعظم من أنجبته فرنسا هو نابليون بونابرت بعد لوي باستير العالم الإنساني الكبير ، لكن نابليون لم يمت كذلك لأن اسمه أصبح جزءا من العلوم الاجتماعية ، فيكفي في العلوم الاجتماعية والتاريخية أن يوصف نظام سياسي بالبونابرتية كي يقدم وصفا كاملا لطبيعته

فعندما تحتدم الازمة الاجتماعية وتتصادم مصالح الطبقات قد يكون الحل هو تسليم السلطة لحاكم كلى السلطات مستقل نسبيا عن مصالح من أتى به كى يحكم باسمها و لصالحها ، لكنه حلا يتضمن تناقضاته الداخلية التي لا يمكن التعرف عليها بمجرد استخدام مثل هذا التوصيف ، البونابرتية !

ومن الواضح ان الاسقاط، أي استخدام الماضي، كما هو ، لمحاولة فهم الحاضر حلا بليدا لا يمكن من فهم الحاضر ، فلقد وصف أحد كبار المفكرين نابليون الثالث بالكاريكاتير البونابرتي وكتب ان التاريخ يعيد نفسه بشكل كاريكاتيري ، وهو وصف صحيح لوصف حكم نابليون الثالث ولكنه قد لا يكون صحيحا لكل حكم بونابرتي ، فكل بونابرت وظروفه الاجتماعية . والسياسية بتناقضاتها